الإلحاد وآثاره في الأسرة والمجتمع

الأميرة نعمت الأمير علي حرفوش

باحثة في العلوم الإنسانيّة الإسلاميَّة-لبنان

ملخّص

تشكل قضيَّة الأسرة قضيَّة محوريَّة في مجال الدراسات الاجتماعيّة، ويُعدُّ البعد العقائديّ بعداً هاماً في مجال تكوينها، فمن حيث هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع، ينعكس اضطرابها على اضطراب المجتمع، والعكس صحيح، ولأنَّ المجتمع يواجه ظاهرة خطيرة، ألا وهي ظاهرة الإلحاد، فقد اهتمّت هذه المقالة بالبحث في آثار الإلحاد على الأسرة والمجتمع. مبينّة أنَّ الإلحاد أنتج جملة من الحركات والنزعات والأفكار الانحرافيَّة، التي ألحقت الضرر بمفهوم الأسرة وتكوينها وانسجامها، وأخلّت بدورها في المجتمع، وقد بيّنت المقالة الفرق بين الرؤية الإلهيَّة التوحيديَّة للأسرة، والرؤية الإلحاديَّة التي ترى حريَّة العلاقات بين الجنسيّن وحريَّة اختيار الهويَّة الجنسيّة، حيث حلّت الغريزة محل الفطرة، وانهدمت المنظومة القِيميّة. ما انعكس على الفرد والمجتمع برواج ثقافة الفرديّة والمنفعة والماديَّة، فصار المجتمع الإنسانيّ مجتمعاً بلا روح، وصارت الأسرة بدلاً من تأمينها للسكن الروحيّ والاستقرار المعنويّ، مصدراً للقلق والاضطراب وانعدام الأمن والأمان.

الكلمات المفتاحية:

الإلحاد- الإلحاد المعاصر- الأسرة- المجتمع- سنّة الاستخلاف.

مقدمة:

إنَّ أخطر الإشكاليَّات وأعقد التحدّيات التي تمرّ بها الأسرة المسلمة على مرّ العصور وخصوصاً عصرنا الحاليّ هو التحدِّي العقائديّ، الذي ينعكس على جميع مفاصل الأسرة، من التكوين إلى التركيب الداخليّ، فالدور الاجتماعيّ ونظام العلاقات والروابط الإنسانيّة وغيره. ولعلّ من أشد وأخطر الظواهر والتيارات التي برزت من جديد تيار «الإلحاد» بصورته المعاصرة، وهو تيار نقيض للعقيدة الإلهيَّة وللفطرة الإنسانيّة، من حيث كونه مذهباً فلسفيًّا يقوم على فكرةٍ عدميّةٍ أساسها إنكار وجود الله الخالق، حيث عصف بوجود الأمة الاسلاميَّة وهويتها ومقدراتها، وأضرّ بكل من الفرد والأسرة والمجتمع على حدّ سواء. وما عاد بالإمكان أنْ تبقى الأسرة بمنأى عن التيارات الفكريَّة والعقائديّة المنحرفة التي نتجت عن الإلحاد، بل تضررت بعمق يستدعي البحث عن الآثار التي نتجت والتغيُّرات التي طرأت نتيجة ولوج العقائد الإلحاديَّة المنحرفة إلى أذهان الشباب المسلم وعادات وسلوكيَّات العائلات المسلمة.

فما هي الآثار المترتِّبة على الإلحاد، إنْ على صعيد تشكيل الأسرة، أو على صعيد دورها التربوي والاجتماعيّ والروحيّ وغيره؟ وما هو الانعكاس الذي تولّده الأسرة الملحدة في المجتمع؟ كيف أثّر الإلحاد على الهدف من تكوين الأسرة؟ وكيف سلبت الأفكار الإلحاديَّة الأمن الفرديّ والاجتماعيّ؟ هذه الأسئلة سنسعى للإجابة عنها، معتمدين منهجاً وصفياً تحليلياً يعالج ظاهرة الإلحاد وآثارها على الأسرة والمجتمع.

■ أولاً: موقعيَّة ومميِّزات الأسرة في الإسلام:

اهتم القرآن الكريم بالأسرة بشكل كبير، فرغم أن القرآن لم يتحدّث عن الأسرة أو العائلة باستخدام المفردتين، إلا أنَّه أفرد مساحة واسعة من الآيات ليبيِّن الأحكام الجزئيَّة المرتبطة بالمجال الأسريّ والعائليّ، كأحكام النكاح والطلاق والإرث وكيفية حل الخصومة وآداب دخول المنازل أو الأكل من منازل الأرحام... في حين ترك التفصيل والبيان لمسائل العبادات للسنة النبويَّة (كأحكام الصلاة والوضوء وغيرها). ومن خلال تتبُّع الآيات القرآنيَّة بالإمكان استطلاع موقعيَّة الأسرة وتلخيص مميّزاتها في الإسلام بالنقاط الاساسيَّة الآتية:

1. الأسرة وحدة مركزيَّة من وحدات العمران الكونيّ:

خلق الله الإنسان وكرّمه وشرّفه بأن حمّله الأمانة الإلهيَّة التي عُرضت على السماوات والأرض فلم يحملنها ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾، هذه الأمانة التي تعددت مصاديقها بحسب الروايات الشريفة تتلخّص بعمارة الأرض وما عليها وفق ما العقيدة والشريعة الإلهيَّة الحقّة فقد جاء في الآية الكريمة ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا**﴾ (هود:٦١)، هذه العمارة للكون تدخل في إطار وظيفة الانسان الاستخلافيّة التي كُلِّف بها: ﴿**وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ**﴾ (البقرة:30)، وهي تشمل جميع المجالات الماديَّة والمعنويّة منها، كما أنها تشمل تربية الإنسان ومساعدته كي يطوي مراحل المسيرة التكامليّة اللازمة ليكون قادراً على النهوض بمهامه في المجتمع، لذا فهو في حاجة إلى التربية والإعداد ...

فالطفل البشريّ يولد غير قادر على تحصيل حاجاته وحماية نفسه، دون عناية أسريَّة توفر له الحاجات الماديَّة والنفسيّة وترعى طفولته، ولذلك كان بناء الأسرة ونوعية علاقاتها من أهم الأبعاد التربويَّة الإنسانيّة التي يتوقف عليها نوع بناء الشخصية الإنسانيّة (أبو سليمان، أزمة الإرادة والوجدان المسلم، 229). والأسرة هي تلك القاعدة التربويَّة الإنسانيّة التي تحتضنه وتوفر له احتياجاته كلِّها ، ولذلك كان لها التأثير الأكبر في توجيهه وبلورة بنائه النفسيّ والوجدانيّ إيجاباً أو سلباً، وتشكيله بالقدر الذي تمارسه، أو بالكيفيَّة التي تسمح للآخرين بممارستها معه من أجل بنائه والتأثير فيه (أبو سليمان، أزمة الإرادة والوجدان المسلم، 231).

فالنموذج الإسلاميّ للأسرة يعرضها على أنها وحدة أساسية من وحدات الإعمار الكوني، وبناء أساسيا من أبنية المجتمع الإسلامي. وهي مؤسسة طبيعية تراحمية تحكمها قيم الفضل والعفو والتقوى، وليست مؤسسة اصطناعيّة ذات طبيعة صراعيّة تنافسيّة تخضع لعلاقات توازن القوى (عزت، المرأة والعمل السياسي، ١٨٧، بتصرف).

2. الأسرة فطرة وسنّة اجتماعيَّة:

يرتكز نظام الأسرة في الإسلام على النظر إلى جانب الفطرة الإنسانيّة والسعي إلى تعزيز هذه الفطرة وتنميتها، وهو لا يركّز على الغرائز وإنما يهذِّبها ويضبطها ضمن نطاق كلّ من الفطرة

والعقل والتشريعات الإلهيَّة.

فتكوين الأسرة في الإسلام هو جزء من السنّن الاجتماعيّة وهو مرتبط بقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعاً وللمخلوقات كافة، هذه النظرة تتضح في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (الذاريات:49)، ومن قوله سبحانه: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (يس:369)، ثم تتدرج النظرة الاسلاميَّة للإنسان فتذكر النفس الأولى التي كان منها الزوجان، ثم الذريّة، ثم البشريّة جميعاً: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَساءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ (النساء:1)، ﴿**ياأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبايِلَ لِتَعارَفُوا**﴾ (الحجرات:١٣)، ثم تكشف عن جاذبيَّة الفطرة بين الجنسيّن، لا لتجمع بين مطلق الذكران ومطلق الإناث، ولكن لتتجه إلى إقامة الأسر والبيوت: ﴿**نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (البقرة:223)، ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً**﴾ (النحل:80). ولو حصلت المخالفة لهذه السنّة الإلهيَّة بالارتباط بين الذكر والأنثى كما في قوم لوط، فإنَّ ذلك يكون مخالفاً للفطرة، وكما قال لوط لقومه: ﴿**وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ**﴾ (العنكبوت:29)، بمعنى تخالفون الفطرة الإلهيَّة بهذا الانحراف والشذوذ في العلاقة.

فالأسرة تلبّي هذه الفطرة العميقة في أصل الكون وفي بنية الإنسان، ومن ثَمَّ كان نظام الأسرة في الإسلام هو النظام الطبيعيّ الفطري المنبثق من أصل التكوين الإنسان، بل من أصل تكوين الأشياء كلها في الكون، على طريقة الإسلام في ربط النظام الذي يقيمه للإنسان بالنظام الذي أقامه الله للكون كلِّه (قطب، في ظلال القرآن، 1: 234).

3. الأسرة مصدر الاستقرار في عالم الحركة:

ركزّت الآيات القرآنيَّة على أن الأسرة تشكل سكناً ومصدراً لاستقرار الإنسان، فمن خلال الآية الكريمة ﴿**وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ (الروم:21) والآية ﴿**هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ**﴾ (البقرة:187) يتضح أن أحد أهداف

تكوين الأسرة هو تحقيق السكن الروحيّ والنفسيّ والدعم والمساندة المعنويّة والماديَّة للإنسان، فالزوج والزوجة كلاهما سكن للآخر تربطهما المودَّة والرحمة، وكلاهما كاللباس للآخر يقي من الحر ومن البرد، أي يساهم في التخفيف من صعوبة العوامل الخارجية ويساعد على مواجهة التحدّيات.

ويرى الأعرجي أنَّ الاسلام ينظر الى المؤسسة العائليَّة باعتبارها نقطة استقرار لعالم متحرك، تنتقل من خلالها ممتلكات الجيل السابق إلى الجيل اللاحق عن طريق الإرث والوصية الشرعيّة، ومؤسسة إجتماعية لتعويض الخسائر البشريّة الحاصلة نتيجة موت الأفراد، ومحطة فحص وتثبيت أنساب الأفراد عن طريق الزواج والإقرار بالنسب، ومركز حماية الأفراد فيما يتعلَّق بالحب والحنان والدفء والمطعم والملجأ، ومكاناً لتهذيب السلوك الجنسيّ، ومسرحاً لتعلّم المعارف قبل الخروج للساحة الاجتماعيّة، وموضعاً عظيماً لتعلّم وممارسة النشاطات الروحيّة والدينيّة. وقد قدّم الإسلام في نظريته الفقهيَّة الاجتماعيّة عرضاً مفصلاً لحقوق الزوجة الماليّة والمدنيّة، وحقوق الأبوين والأجداد والأحفاد، وحق إلحاق المولود على أساس قاعدة (إمكان الإلحاق) التي تسالم عليها الفقهاء، وحقوق الرضاعة والحضانة، وأحكام الصبيّ، والوصيّة الشرعيّة، والإرث. والأصل في النظريَّة الاسلاميَّة، أن يكون للعائلة ولي يدير شؤونها الماليَّة والعاطفية والتربويَّة ، أو وصي يدير شؤونها الماليّة ويرعى مصلحة أفرادها. وبكلمة، فإن العائلة الاسلاميَّة تساهم في خلق الفرد الاجتماعيّ المؤمن بالنظريّة الأخلاقيّة الدينيّة، الصالح للعمل والانتاج، المجدّ في سبيل بناء النظام الاقتصاديّ والسياسيّ للمجتمع الاسلاميّ. وبذلك، فإنَّ النظرية الاسلاميَّة تطرح للعالم المعاصر قاعدة عائليَّة تمنح الأفراد كل مواطن الاستقرار النفسيّ والحاجات العاطفيّة التي حرمتهم منها التطبيقات الرأسماليّة الغربيّة الحديثة (الأعرجي، النظام العائليّ ودور الأسرة في البناء الاجتماعيّ الاسلامي، 1 :18-19).

4. ركيزة المجتمع ونواة الأمة الصالحة:

تشكّل الأسرة الصالحة، التي هي ركيزة المجتمع الصالح ونواة الأمة الصالحة هدفاً من أهداف الشريعة الإسلاميَّة، فالأسرة هي كالبلد الطيّب في الآية الكريمة ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**﴾ (الأعراف: 58)، فحفظ النَّسل يكون عبر تكوين أسرة قائمة على رباط مقدّس هو الزواج الشرعيّ بين رجل وامرأة،

حيث تقول الآية ﴿نِسَاؤُكم حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ (البقرة:٢٢٣)، فاستمرار النَّسْل مربوط بتكوين أسرة وفق المعايير التي بينتها الشريعة الإلهيَّة، وصلاح النَّسْل إنما يتحقق ضمن تلك الأسرة التي يتربىَّ الطفل فيها وينمو تدريجيًّا ليصبح فرداً صالحاً يتحلَّى بالفضيلة والأخلاق الحسنة.

5. الأسرة في الإسلام مولّد دائم للعقيدة والقيم:

الأسرة بالعموم هي الخليّة الأولى التي يتلقّى فيها الأبناء التربية، وفيها يتم نقل العقيدة والثقافة والقيم وتأمين استمرارها وديمومتها عبر انتقالها إلى الأجيال من خلال العمليّة التربويَّة التي يمارسها الأبوان. والأسرة المسلمة بالخصوص تقوم على نظام قيميّ وعلائقيّ فريد، يساهم في تأمين تماسك اجتماعي وتلاحم أُسْري ضمن العائلة الممتدّة، حيث تتجلى في هذا النظام منظومة العقائد الإلهيَّة وخصوصاً التوحيد، ويتأمن انتقال هذه العقيدة من جيل إلى جيل عبر الأسرة، وينبثق عن التوحيد منظومة قيميّة متشابكة تساهم في تجلّي شخصية الموحّد وظهور المجتمع التوحيديّ بأبهى صوره، ونورد في الآتي بعضاً من مميزات النظام العلائقيّ والقِيميّ للأسرة المسلمة.

من جهة البعد العلائقيّ: تتشكّل الأسرة المسلمة بالاستناد إلى روابط حدّدتها الشريعة الإسلاميَّة وبيَّنتها الآيات القرآنيَّة بأنَّها إمَّا رابطة دم أو رابطة مصاهرة، فقد قال تعالى: ﴿وهو الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً﴾ (الفرقان: 54) وقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل: 72) فالأسرة ليست مجرد زواج بين ذكر وأنثى، وإنَّما هي مجموع الصلات المتولِّدة من هذه العلاقة، ومن ثمّ؛ فإنَّ الأسرة امتداد علائقيّ متماسك، وهذا التماسك منبعه صلة الدم والرحم التي تتأطر بالأخلاق الضامنة للاستمرار والارتقاء بالسلوك الاجتماعيّ نحو مدارج الكمال. ويشكّل مبدأ صلة الرحم أساساً في تنظيم العلاقات الأسريَّة، وضمانة لديمومة العلاقة بين الأفراد الذين تقع بينهم هذه الصلة، فالأبناء يرتبط كل منهم بالآخر ارتباطاً فطريّاً، وقد عُدّ حفظ هذا الارتباط الفطريّ وعدم نسيانه من الواجبات المهمَّة في الدين، وإذا قطع شخص هذا الاتصال الفطريّ والدينيّ سيحرم من الرحمة الإلهيَّة الخاصَّة؛ لأنّ صلة الرحم هي من الأشياء التي أمر بها الله، وقد ورد اللعن لقاطعي الشيء الذي يجب وصله: ﴿ **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى**

الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ (البقرة: 27). وأما من حيث البعد القيميّ، فإنَّ الأسرة في الرؤية الاسلاميَّة هي منبع الرحمة وما يرتبط بها من صفات كالمحبة والرأفة والمودَّة وغيرها، ولا يتحقق الارتقاء في مدارج الكمال الإنسانيّ إلا بالاتصاف بهذه الصفات التي تساهم في شدِّ أواصر الارتباط بين أفراد المجتمع فيكونون كالبنيان المرصوص وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء، كما جاء في الحديث عن رسول الله (ص).

فالرحمة هي أساس الركائز القِيميّة الحاكمة للعلاقات الأسريَّة، وتتجلّى في جميع العلائق الأسريَّة على امتدادها؛ فهي سمة حاكمة للتعامل بين الزوجين وجعلنا بينكم مودة ورحمة وامتداد الرحم يستلزم مدّه بالرحمة. وينتج عن ذلك نظام كامل من العلاقات المبنية على التراحم والمودَّة سواء بين الأبناء أم بين الأخوة أو الأخوال والخالات والعمومة والعمّات, إلى غير ذلك من العلاقات الأسريَّة الممتدَّة.

فالمجتمع البشريّ الكبير إنما يتشكل من مجتمعات صغيرة عائليَّة، تسودها مظاهر وتجلِّيات الرحمة كالرأفة وغيرها، وما دام لم يقع سبب الرأفة بين أعضاء الأسرة، فإنَّ صفاء الضمير وروح التعاون وعلاقات المحبة لا تقوم أبداً بين أفراده عند تشكل المجتمع الرسميّ. وأهم عامل يثير الرأفة والتضحية والإيثار بين أفراد العائلة هو تجلِّي روح الأم بين أعضاء الأسرة؛ لأنّه على الرغم من تولِّي الأب الأعمال الإداريَّة لمجتمع صغير (أي العائلة) بعنوان الرجال قوَّامون على النساء، ولكن أساس العائلة الذي شُيِّد على الرأفة والوفاء والارتباط هو في عهدة الأم؛ فالنواة الأساسيَّة للعائلة تتعهدها المرأة، أي إنَّها تستقطب الرجل أولاً، وتنمِّي فيه الرأفة والعاطفة وتسكنّه: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (الروم:21)، ثم تشكل بمساعدته أسرة هادئة وأرحاماً رؤوفين. فأصالة الأسرة بعهدة المرأة، و دور وسلوك المرأة يشكّلان قاعدة أساسيَّة في تأسيس دائرة الرحم.

■ ثانياً: أثر الإلحاد في الأسرة والمجتمع:

الإلحاد في حقيقته كما تقدّم، ليس فقط نفي الإله, وإنَّما هو نقيض الألوهيَّة ونقيض التوحيد وهو صراع الباطل ضد الحق، ففي حين تعاقبت الرسالات السماويَّة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، برز الإلحاد ليخرجهم من النور إلى الظلمات، فإذا كان خط التوحيد هو الذي يقود الإنسان نحو الكمال المطلوب له، وهو الهدف من خلق الإنسان في الدنيا واستعماره فيها، فإنّ

الإلحاد هو الذي يقود البشر نحو التناقص والتسافل، وهو ما ينافي العقل والمنطق السليم.

وبالاستناد إلى ما سبق بيانه، من ارتباط للأسرة وفق الرؤية الإلهيَّة بالبعد العقائديّ المتمثل بعمارة الكون وما يستلزمه من عقائد وتشريعات وقيم، فمن الطبيعيّ، أن يكون هناك آثار للتيَّار المناقض الذي ينفي أصل وجود الإله أو ينكر وحدته أو ينكر النبوَّات والرسالات وغير ذلك من المصاديق المتعدِّدة للتيَّار الإلحاديِّ على اختلاف مراحله وسَعة مفهومه أو ضيقه، يخلّفها على الفرد والأسرة والمجتمع على حدّ سواء، ونركّز فيما يأتي على بعض من هذه الآثار:

1. الخروج على الفطرة في تكوين الأسرة والعلاقات بين الجنسينّ:

تقضي الفطرة الإنسانيّة بطبيعتها إدراك أنَّ الطريق للإشباع الغرائزيّ ولاستمرار النَّسْل هو الزواج الطبيعيّ بين ذكر وأنثى، ومن ثمَّ تكوين أسرة وفق السِّياق الفطريِّ الطبيعيّ، وقد أطّرت الشريعة هذا البعد الفطريّ بأنْ جعلت الزواج وفق عقد شرعيٍّ يترتَّب عليه نظام من الحقوق والواجبات للزوجين. ولكنَّ الجنس البشريّ لم يشهد ثورة للغرائز البشريّة كما شهدها عصر الإلحاد المعاصر. فسُعار الجنس اليوم محور حياة الفرد الغربيِّ الذي ما عادت تشبعه العلاقات الزوجيَّة تحت مظلة الأسرة. وتجاوز الأمر من ممارسة الشذوذ الجنسيّ والإعلان به إلى مرحلة تقنينه وشرعنته وعولمته كظاهرة إنسانيّة طبيعيّة غير شاذّة, وبدأ استبدال وصف «الشذوذ الجنسيّ» من البحوث العلميّة والخطاب الطبيِّ والإعلامي بوصف «المثْليَّة الجنسيّة» (الخضري، آثار ونتائج الانحرافات الفكريَّة،20)

فالإلحاد كان سبباً في انفلات الرغبات الجنسيّة من عقالها، وبدلاً من أنْ تحرر الإنسان حيَّدته ثم استعبدته، فانتشرت الإباحيَّة وتمَّ رواجها، ومن هنا أصبح الهدف من الإباحيَّة هو اختزال الإنسان إلى جسد، ولم يكن إرضاءً للشهوات، فالتعرية تبدأ بالجسد وتنتهي بتعرية الإنسان. (جمعة، مخاطر الإلحاد، 109 وما بعده، بتصرف) .

كلّ ذلك تحت عناوين مغرضة تستهدف تحويل الإنسان من عبد لله إلى عبد للهوى، ومن تلك العناوين: التحرّر الجنسيّ، وثقافة «الحب الحر»، وقوة الحب وجمال الجنس كجزء فطريّ من الحياة الطبيعيّة؛ وأنَّه لا يجب إنكارها أو كبتها. ما ترتب عليه انتشار لمبدأ حريَّة الجنس خارج نطاق الزواج لكلّ من الرجل والمرأة معًا، وسواء أكان المرء متزوجاً أم لا،

وحريَّة منع الحمل والإجهاض، وحريَّة العري العلنيّ، وحريَّة الشـذوذ الجنسيّ، وحريَّة اختيار الهويَّة الجنسـيّة (الجندر) وغيرها من المظاهر التي تشـير إلى خروج الأفراد على الفطرة وعن مبـدأ تكوين الأسرة، ومن ثَمَّ صارت الأسرة في المجتمعات اللادينيّة والإلحاديَّة عملة نادرة في مقابل التفلُّت والفوضى الجنسـيّة، التي نتج عنها أرقـام هائلة من الولادات خارج نطاق الزواج ومن جرائم الاغتصاب والتجاوز الجنسيّ وغير ذلك من المظاهر. ومن الملفت أن المجتمعات الغربية -التي هي الناصرة والمروّجة للفكر الإلحادي والفكر اللادينيّ بمختلف أطيافه - بدلاً من مواجهة الشـذوذ، سنّت القوانين التي تشرّع العلاقات الشاذَّة واعتبرت أنَّ العلاقة التي تنشأ بين ذكر وذكر أو أنثى وأنثى علاقة قانونيَّة ويتمُّ تسجيلها كأسرة في نطاق السجلَّات المدنيَّة.

وقد صنّفت الأمـم المتَّحدة أنماط الأسر في تقرير لها (الفقـرة ب)[1]، وبيّنت أنماط جديدة للأسر من بينهـا: أسرة الأم العزباء، وأسرة الجنس الواحد (المثليِّـين)، وهي بذلك تعترف بهذا النوع من العلاقات وتطلق عليه مصطلح «أسرة».

فهذه المجتمعات باتت تشـجع على العلاقات الجنسيّة الخارجة على نطاق الفطرة والنظام الشرعيّ، وتدعم الانفلات الغرائزيّ وتعَدُّه حقاً من الحقوق.

فقد اسـتنكرت اللجنة المعنيَّة بالقضاء على التمييز ضد المرأة في الأمم المتَّحدة، اعتبار الزنا علاقة جنسيَّة خارج إطار الزواج، وتجريمه من طرف الأنظمة وأكد فريق العمل في تقرير مفصل يوضـح فيه، أنَّ تجريم العلاقات الجنسـيّة بين البالغين بالتراضي هـو انتهاك لحقهم في الحياة الخاصَّة وللمادة 17 من العهد الدوليّ الخاصّ بالحقوق المدنيَّة والسياسيَّة[2] (بو زيد، دور منظمة الأمم المتَّحدة في تجسيد الأسرة اللانمطيَّة، 448)

وبذلـك فإنَّ هذه المجتمعات تجـاوزت المطالبة بحقوق الأسرة إلى الدفاع عن أشـكال جديدة تتعـارض في مفهومها مع وجود الأسرة في حـدّ ذاته، وهو مؤشّر على صيرورة الجنس البشريّ نحو

---

1 - راجـع في ذلك: الأمم المتحدة، مجلس حقوق الإنسـان (الجمعيّة العامة)، تقرير الفريق العامل المعني بمسألة التميز ضد المرأة في القانون والممارسة، الدورة 29، 2 نيسان 2015، وثيقة رقم 40/A/HRC/29 ، ص: 10، موقع مكتبة حقوق الإنسان، جامعة مينيسوتا، http://hrlibrary.umn.edu/arabic

2 - راجـع في ذلك: تقرير الفريق العامل المعنيّ بمسـألة التمييز ضد المـرأة، الفقرة 49، ص:16، عن موقع المعهد الدانماركي لحقوق الإنسان: https://sdgdata.humanrights.dk/ar ، تاريخ الاطلاع: 2021/2/7.

الاندثار، حيث صرّح رئيس وزراء دولة لوكسمبورغ السابق (غاستون تورن) بأنَّ «أوروبا تقترف انتحاراً جماعيًّاً» (سيدي، الصراعات الحضارية -الأيديولوجيات الأسريَّة، رابط إلكتروني) وذلك بسبب عزوف النساء عن الإنجاب إلى الركون إلى قاعدة (خطر تحليل الأزمات الثقافيّة) ورفض الاعتراف بأنَّ السبب هو التحرُّر النِّسْويّ، وهو ما يعدّ موقفاً رجعيّاً يناهض الإناث، وهو ما تقف له اتفاقيَّة التمييز ضد المرأة بالمرصاد، ومن خلفها منظمة الأمم المتَّحدة, وتؤول خيارات نقص الإنجاب إلى المرأة العصريَّة (سيغوك، الصراعات الحضارية -الأيديولوجيات الأسريَّة، رابط إلكتروني).

2. الإساءة إلى موقعيَّة المرأة ودورها في الأسرة والمجتمع:

تحوّلت المرأة على إثر الفكر الإلحاديّ إلى نظير مماثل للرجل لا يختلف عنه لا في الحقوق ولا في الواجبات، وهذا ما يخالف التفاوت في صفات الخلقة لكليهما. وهو ما أقرَّته الديانات وأثبتته الحقائق العلميّة والطبيّة، وما ترتب عن ذلك التفاوت من شريعة حفظت حق المرأة وراعت طاقاتها النفسيّة والبدنيّة والروحيّة وغيرها. فالمرأة في الإسلام ذات شأن رفيع، إلا أنَّها لم تُكلّف بأنْ تكون معيلة لأسرتها، فحتى في حال الطلاق فإنَّ النفقة تكون واجبة على الزوج، ولم تُكلّف بأن تتصدَّى للخروج من أسرتها والعمل خارج نطاق الأسرة، بل جُعلت النفقة كاملة على الرجل، وما كلّفتها به الشريعة جاء متناسباً مع قدراتها وطاقاتها ومراعياً لخصوصيَّات شأنها ومنزلتها التي أرادها اللهُ لها. فالمرأة لم تُخلَق لتكون وسيلة للإشباع الغرائزيّ المتفلّت من دون نطاق الزواج وأحكامه، وإنَّما خُلِقت لتكون أمّاً تبني عبر التربية والرعاية لأبنائها مجتمعاً صالحاً، فهي التي أوكلت إليها مهمّة نقل وتأمين ديمومة واستمراريّة المنظومة العقائديّة والقِيْميّة والعلائقيّة وغيرها، وكلّ ذلك ضمن نطاق الأسرة الشرعيّة.

لكنَّ المجتمعات الإلحاديَّة سارت باتجاه مناقض للاتجاه الربانيّ, ومع نكرانها للإله والشرائع والأنبياء، أنكرت أيضاً الموقعيَّة الخاصَّة للمرأة في المجتمع، فحرفت دور المرأة في تشكيل الأسرة الطبيعيّة المنسجمة مع فطرة الإنسان وخلقه عن مساره الفطريّ، وفُتحت العلاقات بين الذكر والأنثى، وأصبح الإنجاب خارج إطار الأسرة أمرًا طبيعيًّا ومشرّعًا... فصارت المرأة العزباء أماً ومسؤولة عن العمل والإنفاق والإعالة، وافتقدت الخصوصيّة الأنثويَّة التي تميّزها. ونورد في الآتي جانباً من التحولات في دور المرأة وعللها وما نتج عنها:

أ.ؤظاهرة الجندرة:

تعَـدُّ المجتمعـات الإلحاديَّـة التي تنفي الإله ومن ثَـمَّ تنفي الفطـرة وخصوصيات الخلقة والتكويـن البيولوجـي، أن خصائص الذكر والأنثى والعلاقات المؤسّسـة بينهم، ذات أسـاس اجتماعيّ، فالمجتمع هو الذي علّم المـرأة أنْ تكون أنثى, وهو علّم الرجل أنْ يكون ذكراً، وهو الـذي علّمها أن تكون زوجة وأمّاً، وعلّم الرجل أنْ يقوم بدور الأب والقيّم، ومن ثَمَّ فإن العلاقة بـين الذكر والأنثى في جميـع مجالاتها هي علاقة إجبارية ولم تخضـع لاختيار الطرفين، وهذا ينـافي الحريَّـة والحق في اختيار الهويَّة الجنسـيّة. ومن ثَمَّ فلو تمَّ تغيير الثقافـة المجتمعيَّة فإنَّ الأدوار والعلاقات المؤسَّسـة بين الذكر والأنثى ستختلف وسنشـهد علاقات مؤسَّسة بين ذكر وذكر وأنثى مع أنثى، وسيكون هناك تبادل للأدوار وتقاسم للوظائف؛ فلا تبقى قِوامة للرجل ولا طاعة على المرأة. وقد طالبت الأمم المتَّحدة بهذا التغيير من خلال إباحة الشـذوذ في المواثيق الدوليَّة من خلال مصطلح الجندر (النوع) Gender ومشـتقاته كـما يلي: تعرفه منظمة الصحة العالمية كما يلي: يشير الجندر إلى الخصائص المؤسسة مجتمعياً للمرأة والرجل مثل الأعراف والأدوار والعلاقـات بـين مجموعات النسـاء والرجال. وهي تختلف مـن مجتمع إلى مجتمع ويمكن تغييرها. (Gender، equity and human rights، رابط إلكتروني)

وقد صرح فاليري ريموند بأنَّه من خلال عدسة الجندر يصبح تحدِّينا أكبر بتنوع وضع المرأة بما فيه ميولها الجنسـيّة، فكلمة الميول الجنسيّة تعني أنَّ هناك أكثر من هويَّة جنسيَّة، فالأمر غير محـدود بالميل الطبيعيّ بين الرجل والمرأة، ولكـن هناك هويَّات أخرى مما يفتح الباب لشرعة المثْليَّة الجنسـيّة، لمن لا تتبع ميولهم لا الذكورة ولا الأنوثة. (مشري، الجندر: إشـكالية تماثل الأدوار في المجتمع الجزائري، رابط إلكتروني)

هذا الفهم لمسـألة الهويَّة الجنسيّة يؤدي حتماً إلى اضطراب في الهويَّة وإلى تشريع الشذوذ في العلاقـات ومن ثَمَّ انعدام وجود أسرة، واضطـراب في الأسر المتكوّنة على نحوٍ طبيعيٍّ بين ذكر وأنثى، حيث تبدأ مواجهة المشكلات في مجال تبادل وتقسيم الأدوار بين الرجل والمرأة.

ب.ؤالنزعة النِّسْويّة (Feminism):

لعلّ أسـوأ ما طرأ على موقعيَّة المرأة ودورها في المجتمعات اللادينيَّة والإلحاديَّة هو انتشار النزعة الأنثويّة المتطرّفة (Feminism) أو الأنثويّة الراديكاليّة التي وضعت هدفًا اسـتراتيجيًّا لها

سعت من خلال تحقيقه إلى التغيير الاجتماعيّ والثقافيّ وتغيير بناء العلاقات بين الجنسينْ وصولاً إلى المساواة المطلقة بينهما.

وقد نتج عن هذه النزعة العديد من المظاهر والتحولات في المفاهيم وفي العقل الجمعي للمجتمع النِّسْويّ، على سبيل المثال فإنّهم يسمّون الطاعة الزوجيّة بعلاقة القوّة(Power relation)، وتوسّع مفهوم الأسرة (Family) لتكون هناك أسرة(Traditional) تقليديّة وأسرة غير تقليديّة، ويتقبّلون الشذوذ ويطلقون عليه أسرة لا نمطيّة، ويتقبّلون العلاقات التي لا تقوم على الزواج الشرعيّ بل على المواعدة والمساكنة كمجموعات إباحيّة تعيش مع بعضها، فيمكن أن تتشكّل الأسرة من زوجين وأولادهما، ورجل وصديقته مع أولادها، وامرأة وصديقها مع أولاده، ورجلين معًا وامرأتين معًا, وهكذا.

3. تفكّك الأسرة وهدم كيانها:

إنَّ نشوء هذه النزعات والانحراف الحاصل عن الفطرة الإنسانيّة والتكوين البيولوجيّ للإنسان مرفقاً بالظواهر الشاذَّة التي قامت الدعوة إلى تشريعها في المجتمعات الإلحاديَّة، فبانحلال عقد الزواج الشرعيّ أصبحت علاقة الأزواج علاقة متعة ومنفعة مجرّدة (عبد الخالق، الإلحاد أسباب هذه الظاهرة، 25)، هذه المظاهر تؤشر إلى اختلال السلوك الأسْريّ, وانهيار الوحدة الأسْريَّة كخلية أساسيّة من خلايا البنيان الاجتماعيّ، كما أدَّى إلى التفكُّك الأسريّ، واختلال كل نظام العلاقات داخل الأسرة.

هذا التفكُّك والانهدام للأسرة وللأدوار داخل الأسرة، يؤدي إلى سيادة العلاقات القائمة على المنفعة الفرديّة، فيصبح الأبناء فردانيِّين كلّ يسعى خلف مصلحته الشخصيَّة ومن ثَمَّ ينعدم الحس بالأمان وتعلو القوة كوسيلة لبسط السلطة والوصول إلى الحاجات بدلاً من الرأفة والرحمة التي أسس الإسلام عليها نظام العلاقات الأسريَّة. أما على صعيد المجتمع، فالإلحاد يؤدِّي إلى إشاعة الفواحش وإطلاق الغرائز، ما ينتج عنه ضياع الإنسان واختلاط الأنساب والأرحام، وكثرة اللقطاء وغياب الأسرة التي ترعى وتربيِّ وتشبع العاطفة والوجدان لدى الأفراد، ما يساهم في تدنيِّ معيار الإحساس بالأمان وانتشار الاضطراب والفوضى والبلبلة الفكريَّة والنفسيّة، سواء على صعيد الفرد، أم على صعيد المجتمع كلِّه.

4. الخروج عن معيار الاستقرار النفسيّ والسكن الروحيّ:

للإلحاد أثرٌ خطير على تدمير القيم الروحيّة والمعنويّة التي تساهم في بناء ضمير ووجدان

مطمئنٍّ وتأسيس بنيان أسْريٍّ هادئ ومستقرٍّ ومجتمع آمن. فحين يُنْفى وجود الإله يترتب على ذلك نفي للكثير من المعتقدات؛ منها نفي عالم الغيب والاعتقاد به ونفي الشرائع والرسالات ومن ثَمَّ نفي الاعتقاد بعالم الآخرة، ويقف الفرد أمام تساؤلات عديدة ترتبط بالمبدأ والمصير والحياة من دون أنْ يجد لتساؤلاته جواباً، وبذلك تفقد الحياة الفرديّة والاجتماعيّة الهدفيّة والدافعيّة، وتصبح الأسرة والزواج والأبناء مجموعة من الأعباء التي لا يمكن الاستغناء عنها، فالعلاقات الجنسيّة المتاحة وفق معيار الحريَّة الذي أسس له الفكر الإلحاديُّ، ومن ثَمَّ لا منفعة من الزواج وتكوين أسرة وتحمُّل مسؤوليَّاتها.

هذا النمط من انعدام الدوافع والأهداف، يدفع الفرد للشعور بأنَّ هناك عبثيَّة من وجوده ما يبعث على تحريك مخاوفه وإيجاد نوع من الاضطراب مرفقاً مع شعور بالفراغ العاطفيّ والروحيّ، ما يكون باعثاً على انتشار ظواهر خطيرة كالقلق والاضطراب وتعاطي المخدرات التي تساهم في ارتفاع نسبة الأمراض النفسيّة ومعدلات الانتحار والجريمة، فينعدم الأمن الاجتماعيّ والعدالة الاجتماعيّة، وينهار الاستقرار الاجتماعيّ.

5. انهدام نظام القيم:

كوّنت الشريعة الإسلاميَّة من خلال نظام القيم الذي سنّته شبكة من العلاقات الأسريَّة والاجتماعيّة التي تساهم في تكوين نسيج اجتماعي متماسك، قادر على الصمود والتصدّي في وجه التحدّيات التي قد تعصف بالمجتمع والأمة، فالعفة والرحمة والعدالة والشجاعة والحكمة والمروءة والتعاون والتكافل والتسامح والحريَّة والمسؤولية وغيرها من القيم الإنسانيّة التي لا بد من وجودها في إطار العلاقة سواءاً مع النفس أم مع الآخر أو مع الجماعة، جميعها تساهم في تشابكها وتكاملها بتكوين بنيان اجتماعيّ متماسك تسوده الثقة, وتتحقَّق فيه معايير الأمن والعدالة.

أما الإلحاد فهو عدو القيم رغم أنَّ الملحدين اتخذوا من القيم ذرائع كي يسوِّغوا مشاريعهم وطروحاتهم الإلحاديَّة، فالنزعة الماديَّة والنفعيَّة لا يمكن أنْ تستقيم القيم الإنسانيّة فيها، والإلحاد انطلق من نفي الإله وما ترتب عنه من نفي للغيب إلى تقنين للنفعية الماديَّة التي لا تنتج إلا تيهانًا فطريًّا, وفراغًا روحيًّا، ونزعة ماديّة في المعرفة، وانفلاتًا شهوانيًّا للغريزة، واضمحلالاً لأي حديث عن علة للوجود الجمعيّ للإنسان، ورواجًا للأنانية المطلقة والنظرة النفعيّة التي تدور

حـول لذّات الفرد ومتعه، من دون مبالاة بما حولـه، طالما أنّه لاغاية خلف الوجود والحياة غير الفناء، فلا أهميَّة للقيم والأخلاق.

ومن النماذج على انهدام القيم، فريدريك نيتشه صاحب مقولة «أركل الضعيف ركلة لضعفه» (دجاكام، الفلسفة الغربية برؤية مرتضى مطهري، 280) فقد تبنّى فكرة محوريَّة الإنسان ليعزل الإله عن أي وجود أو نفوذ معرفيٍّ، أو معنويٍّ. حتى إنَّه جعل الإيمان بالله إنَّما هو وليد الضعف؛ ولذلك آمن كثيراً بمنطق القوة والعنف، متجاوزاً منطق العقل والعاطفة والمحبة والسلام. ولقد زعم نيتشه أنَّ المبدأ الصائب في الحياة، هو في مقولته الإجرامية الجوفاء، فلا معنى لإعانة الضعفاء، إذ ليس هناك ذنب أسوأ من الضعف؛ لذلك ارم حجراً على رأسه ليخمد في مكانه (المصدر نفسه)، وبهذا يتّضح لنا أنَّ الفكر الإلحاديَّ يدفع للتنازل عن القيم الإنسانيّة، ناهيك عن القيم الإلهيَّة والفطريَّة.

أما جان بول سـارتر وهو فيلسوف ينتمي إلى المدرسة الوجوديَّة، وقد عرف عنه أنَّه لا أدري، إلا أن واقع الحال يشـير إلى أنَّه من الملاحدة، فنجده يشـوّه القيـم الأخلاقيَّة للأسرة، داعياً إلى قهر السـلطة الأبويَّة، فنرصد في رواياته تكراراً لعبارات لا تشـير إلا إلى انحلال الأخلاق والقيم الأسريَّة، كعبارة: «الآباء عبء يطحنون أبناءهم، ولا يتركون لهم فرصة ليصنعوا أنفسهم» وتكرار عبارة «أريد أن أقتل الأب الداخليّ» و «لا يوجد أب طيب»، «لا تعتب على شخص بل اعتب على رابطة الأبوة العفنة» وغير ذلك من الترّهات اللا أخلاقية (شريف، الإلحاد مشكلة نفسية، 168).

ثالثاً: المجتمع الإنسانيّ بين التوحيد والإلحاد:

الأسرة والمجتمع كيان واحد يختلفان من ناحية السعة والصلات التي تربط الأفراد ببعضهم، فالأسرة تتكوّن من مجموعة أفراد تربطهم صلة دم أو نسب يشكّلون معاً خليّة من خلايا المجتمع، ومجموع الأسر يكوّن مجتمعاً. وكلّ منهـما (الأسرة والمجتمع) يؤثر ويتأثر بنظم الآخر، فنظام الأسرة ينعكس مباشرة في نظام المجتمع ويؤثّر في بنيانه. ومن المعلوم أنَّ لكلّ نظام ركائز يُبنى عليها وحولها تدور العمليَّات وفق معايير ضمن النظام، ووفق هدفيّة محدّدة واضحة.

ففي الرؤية التوحيديَّة، تشـكّل الأسرة التي يقودها الإنسـان (المسـتخلَف) خلية من خلايا مجتمع الاستخلاف الإلهيّ، هذا المجتمع الذي وصفته الآيات القرآنيَّة وبينت معالمه، محدّدة بأنّه مجتمع العدالة والحريَّة والأمن, وهما من أسـمى ما تطمح إليه كلّ نفس بشريَّة، فالآية 55

من سورة النور تقرّر أنَّ الوصول إلى مجتمع الاستخلاف هو وعد إلهيٌّ والوعد الإلهيُّ مضمون التحقّق إنْ تحققت المقدمات من الإنســان، حيث تقول الآية: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (النور: 55)، والسمّة الحاكمة في مجتمع الاستخلاف كما هو واضح من الآية ﴿**يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**﴾ هي التوحيد الخالص لله, تعالى.

والتوحيد وهو البعد العَقَديّ الذي منه تنبثق منظومة القيم والتشريعات، يشكّل ناظماً لشبكة من العلاقات تبدأ من علاقة الإنســان بخالقه، وتنتهي بعلاقاته الاجتماعيّة والحياتيّة في أبعادها المختلفــة، من خلال علاقة الفرد بذاته وذويــه، والتوحيد هو القيمة العليا التي تنتظم كافة القيم الأخرى التي تتخلَّل حياة الإنسان في أبعادها المختلفة من قيم أخلاقيّة ومعنويّة، فرديّة واجتماعيّة وسياسيّة وتنظيميّة، كما أنّ التوحيد هو الناظم الذي يصل بين عالم الشهادة وعالم الغيب، كما أنَّه يتخلل أبعاد الحياة أو الظاهرة العمرانيَّة ويربط فيما بينها (ابو الفضل، خبرة الباحث الاجتماعيّ في الاقتراب من النص القرآني،229).

بهــذا تقدّم الرؤية التوحيديَّة للإنســانيّة على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع طرحاً متكاملاً، يتميز بالغائية والهدفيّة من جهة، وبالنظم والتكامل من جهة أخرى، وهذا ما يشكّل دافعاً للإنسانية للمسير قدماً وفق المعايير التي حدّدتها هذه الرؤية، نحو بناء مجتمع فاضل، عادل، حرّ، مسؤول، تتــوزع فيه الحقــوق والواجبات بالعدل والعدالة، لا تمييز فيه بين أبيض وأســود، ولا بين عربيٍّ وأعجميٍّ، وإنَّما المميّز هو التقوى ومقدار الجدّ والسـعي لتحقيق الرؤية التوحيديَّة في السلوك الفرديّ والاجتماعيّ على حدّ ســواء، ينتصر فيه الإنســان لأخيه الإنسان، فيرفعان الضعف عن بعضهــما ويتقويان ببعضهما، في طريق التكامل والســلوك بالنفس والأسرة والمجتمع نحو الله الواحد القهّار، من دون انحراف عن المعايير التي سنّتها الشريعة، لأنَّ ذلك سيؤدِّي إلى تخريب النظام والابتعاد عن الغاية والهدف.

في حــين يقدّم الإلحــاد رؤية تنفي الإلــه والألوهيّة والربَّ والربوبيَّــة، وتلغي تباعاً عالم الغيب والرســالات والنبوات، وتنسف التشريعات، وتلقي بمنظومة القيم (كما بينّا سابقاً) في ســلّة المهملات، إذ إنَّ الملحدين سنّوا قيماً تتناسب مع ميولهم وأهوائهم الشخصيَّة، فتضيع

الغايـة ويندثر الهدف، وتفقد الحياة معناهــا، ويقف الفرد حائراً، تائهـاً، يبحث عن إجابات لأسئلة لا جواب مقنعًا لها ضمن المدارس الإلحاديَّة، كالأسئلة عن الخلقة والمسار والمصير، من أين أتينا، ولماذا خلقنا؟ وإلى أين نسـير؟ ما الهدف من الحياة؟ وما الوظيفة والمسؤوليّة التـي علينا تأديتهـا؟ وغيره. ومع انعدام وجـود أجوبة مقنعة يكون الدخـول في دوّامة اللهو واللذة والفراغ أمرًا طبيعيًّا، وبذلك تسير الإنسانيّة نحو العبثيّة، وتنعدم الدوافع لدى الشعوب وتفتقد الإحساس بالمسؤوليّة وضرورة المشاركة في إعمار الكون ماديّاً وبشريّاً ومعنويّاً، وتُترَك المهمّة للسياسة والسياسيِّين، ويفتح المجال لسيادة القوى الرأسماليَّة التي تتبنَّى الإلحاد فكراً ومنهجاً، ويسود الظلم واللاحريَّة والاستعباد وانعدام الأمن والشذوذ وما يترتب عنه من تفكك للأسرة والمجتمع وانهيار للقيم والأعراف ومنظومة العلاقات الإنسانيّة، ويهيمن القويُّ على الضعيف، كل ّذلك في ظل شعارات خدّاعة عنوانها: العقل والعقلانيّة والحريَّة والديمقراطيّة والعدالة وعدم التمييز.

نتائج وتوصيات:

بعد ما قُدِّم من عـرض وتحليل لكلّ من الإلحاد والأسرة والمجتمع والمقاربة بين الأسرة في الرؤية الإسلاميَّة وآثار الإلحاد التي طرأت على المجتمعات، بإمكاننا أنْ ندوّن النتائج التالية:

الإلحاد تيَّار فكريٌّ فلسـفيٌّ مناهض للأديان السـماويَّة ومناقض لها، وهو رؤية دينيَّة متكاملة للحياة والكون والوجود، تستند في جذورها إلى نفي الإله وعدم الاعتقاد به، ويترتب عليها نفي للغيب وللرسالات والنبوات، وتأليه للمادة.

مرّ الإلحاد بمراحل تاريخيَّة متعدِّدة، آخرها، ولعله أشرسـها في العداء للأديان السماويَّة، هو تيَّار الإلحاد المعاصر (الجديد)، وهو موجة الإنكار الفكريِّ لكافّة المعتقدات الدينية من الإيمان بوجود الله ورسالات الأنبياء.

يُقصد بالأسرة مجموع الرجل والمرأة حينما يرتبطان معاً برابطة الزواج التي قد تصطحبها ذريَّة، وهـي رابطة اجتماعيَّة بين زوج وزوجـة وأطفالهما من جانب آخر، وتشـمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب على أنْ يكونوا في معيشة واحدة، فهي إذاً وحدة اَجتماعية مقوّمة برابط الزواج.

الإسلام يعرض الأسرة على أنَّها:

وحـدة أساسـيَّة مـن وحـدات الإعمـار الكـونيِّ.

بنـاء أساسـيٌّ مـن أبنية المجتمع الإسلاميِّ.

مؤسَّسـة طبيعيَّـة تراحميَّـة تحكمهـا قيـم الفضـل والعفـو والتقـوى، وليسـت مؤسسـة اصـطناعيّة ذات طبيعة صراعيَّة تنافسيّة تخضع لعلاقات توازن القوى.

تشكل سكناً ومصدراً لاستقرار الإنسان.

نقطة استقرار لعالم متحرك، تنتقل من خلالها ممتلكات الجيل السابق إلى الجيل اللاحق.

الحاضنة الأولى للفطرة الإنسانيّة، والعقائد والقيم، المولّدة لها، والراعية والمغذية للفطرة.

ضمانة استمرار وحفظ النَّسْل.

يرتكز نظام الأسرة في الإسلام على :

تعزيـز الفطرة وتنميتها، وهو لا يركّز على الغرائز وإنّمـا يهذِّبها ويضبطها ضمن نطاق كلّ من الفطرة والعقل والتشريعات الإلهيَّة.

تشكيل الأسرة بالاستناد إلى رباط مقدّس يتمثَّل بعقد زواج شرعيٍّ قائم بين رجل وامرأة، يترتَّب عليه منظومة من الحقوق والواجبات لكلا الزوجين.

الدور التربويّ للأسرة: فاستمرار النَّسْل مربوط بتكوين أسرة وفق المعايير التي بيَّنتها الشريعة الإلهيَّة، وصلاح النَّسْـل إنَّما يتحقـق ضمن تلك الأسرة التي يتربىَّ الطفـل فيها وينمو تدريجيّاً ليصبح فرداً صالحاً يتحلى بالفضيلة والأخلاق الحسنّة.

تتشكّل الأسرة المسلمة بالاستناد إلى روابط حدّدتها الشريعة الإسلاميَّة وبيّنتها الآيات القرآنيَّة بأنها إما رابطة دم أو رابطة مصاهرة.

الأسرة نظام علائقيّ متماسك، منبعه صلة الدم والرحم التي تتأطر بالأخلاق الضامنة للاستمرار والارتقاء بالسـلوك الاجتماعيّ نحو مدارج الكمال. ويشـكّل مبدأ صلة الرحم أساساً في تنظيم العلاقات الأسريَّة، وضمانة لديمومة العلاقة بين أفراد الأسرة.

الأسرة في الرؤية الإسلاميَّة هي منبع القيم كالرحمة وما يرتبط بها من صفات كالمحبة والرأفة والمودَّة وغيرها، وهي التي تشكّل أساساً في بناء مجتمع متكامل يسير مرتقياً في مدارج الكمال الإنسانيّ المطلوب.

للمرأة في الأسرة الدور الأساس في أصالة الأسرة، و دورها وسلوكها يشكّلان قاعدة أساسيّة في تأسيس دائرة الرحم، وديمومة العلاقات الأسريَّة السليمة.

توزّعت آثار الإلحاد بين الفرد والأسرة، كانت كفيلة بأن تقوّض بنيان المجتمع الإنسانيّ ككل.

من الآثار التي أنتجها الإلحاد، نذكر الآتي:

على صعيد الفرد:

قطع الإلحاد صلة الفرد بعالم الإله وعالم الغيب وعالم النبوات والرسالات، ما حوّل المادة إلى أساس يحكم الفكر والمعتقد، فحكمت النزعة الفرديّة ومبدأ المنفعة شخصيّة الفرد، بالإضافة إلى تحويل حياة الفرد إلى حياة عبثيّة، لا معنى لها، تسودها الضبابيّة وانعدام الرؤية والتيه في خضم بحثٍ عن جملة من الأسئلة الوجوديّة التي لا جواب لها في الفكر الإلحاد، كسؤال المبدأ والمصير وهدفية الحياة وما بعد الحياة...

رواج مظاهر نفسيَّة غير سويّة، كالقلق المرضيِّ, واضطرابات الشخصيّة والفوضى والبلبلة في الذهن...

على صعيد الأسرة:

الخروج على معايير الفطرة، وبروز الغريزة كندٍّ للفطرة، واعتمادها الأصل في تكوين الأسرة والعلاقات بين الجنسينْ في العلاقة بين الجنسينْ.

انفلات الرغبات الجنسيّة من عقالها، بحيث صار الإنسان عبداً للهوى، فانتشرت الإباحيَّة وراجت، واختُزل الإنسان إلى جسد، وتمت تعرية الإنسان من خلال البدء تعرية بالجسد.

تحوّلت المرأة إلى وسيلة للإشباع الغرائزيّ المتفلّت دون نطاق الزواج، فانحرف دور المرأة في تشكيل الأسرة الطبيعيّة المنسجمة مع فطرة الإنسان وخلقه عن مساره الفطريّ، وفُتح باب العلاقات بين الذكر والأنثى، وأصبح الإنجاب خارج إطار الأسرة أمرًا طبيعيًّا ومشرّعًا... فصارت المرأة العزباء أماً ومسؤولة عن العمل والإنفاق والإعالة.

راجت مجموعة من العلاقات الجنسيّة الخارجة على النطاق الطبيعيّ والفطريِّ، وانتشر الشذوذ، تحت عناوين مشرّعة.

تحوّلت الأسرة إلى كيان خارج عن معيارَيْ الاستقرار النفسيّ والسكن الروحيّ، بل صارت

عبئاً على كلا طرفيها.

دُمِّرت القيم الروحيّة والمعنويّة، التي تساهم في بناء الضمير والوجدان المطمئن، وتأسيس بنيان أُسْري هادئ ومستقر ومجتمع آمن.

افتقدت السلطة الأبوية أهميَّتها، بل باتت محاربة، ما أدى إلى انهيارها.

على صعيد المجتمع:

استناداً إلى مبدأ الحريَّة الجنسيّة، وبحجة عدم التمييز بين الجنسيْن، ظهرت حركات ونزعات جديدة كظاهرة الجندرة والنزعة النِّسْويّة (Feminism)، التي أدت إلى انهيار موقعيَّة المرأة في المجتمع.

توسّع مفهوم الأسرة ليصبح هناك أسرة نمطيَّة وأسرة لا نمطيَّة أو تقليديّة وأسرة غير تقليديّة، وتم تقبّل الشذوذ وأطلق عليه أسرة لا نمطيّة، وتقبّل العلاقات التي لا تقوم على الزواج الشرعيّ بل على المواعدة والمساكنة كمجموعات إباحيّة تعيش مع بعضها.

اختلطت الأنساب والأرحام، وكثر اللقطاء وغابت الأسرة التي ترعى وتربي وتشبع العاطفة والوجدان لدى الأطفال، ما ساهم في تدني معيار الإحساس بالأمان وانتشار الاضطراب والفوضى والبلبلة الفكريَّة والاجتماعيّة، وازدادت الجرائم، وراجت المخدرات وارتفعت معدلات الانتحار.

سادت النزعة الماديَّة والنفعيَّة، في جميع مرافق المجتمع، وطغى مبدأ القوة على السياسة وفي العلاقات السلطوية، ما نتج عنه ارتفاع معدل الاستضعاف والظلم للشعوب للمجتمعات الضعيفة.

ختاماً- ما بين التوحيد والإلحاد عموماً وفيما يخصّ الأسرة والمجتمع الإنسانيّ خاصَّة، هوّة غير قابلة للردم والترميم، فهما خطان نقيضان، أحدهما يقود البشريّة نحو التكامل بحيث تسير ضمن خط إلهيٍّ ذي غاية وهدف، والثاني يقودها في خط تسافليٍّ بحيث تكون في سراب وضياع من دون وضوح غاية وهدف.

وهذا ما يدفعنا إلى السؤال حول آليّات المواجهة، والإجراءات اللازمة لتشكيل هويَّة التوحيد الفرديّة والاجتماعيّة، وكيفيَّة إنتاج علوم إنسانيَّة تنبثق من صلب التوحيد، لبناء مجتمع إنسانيٍّ وفق الرؤية الإلهيَّة الحقّة.

لائحة المصادر والمراجع :

المصادر والمراجع العربية بحسب ورودها في المقالة:

■ ابن فارس ، زكريا أحمد ، معجم مقاييس اللغة، مكتبة الإعلام الاسلامي، 1404ه. https://www.ablibrary.net

■ ابن منظور، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، 1405ه.https://www.ablibrary.net

■ المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1،1417ه.

■ الميداني، عبد الرحمن، كواشـف زيوف في المذاهب الفكريَّة المعاصرة، ط2، دار القلم، دمشق، 1991م.

■ صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982 م.

■ ابـن حاج أمينور، أحمـد أحيد و طه، أنيس مالك، المجلة الدولية للدراسـات الاسـلاميَّة المعاصرة، مركز بحوث المذهب الشافعي، المجلد الثاني، العدد الثاني، ديسمبر 2022م.

■ ناصر، محمد، الإلحاد أسـبابه ومفاتيح العلاج، مؤسسة الدليل، العتبة الحسينية المقدّسة، العراق، كربلاء، ط2، 2022م.

■ طلعت، هيثم، العودة إلى الإيمان، مركز براهين للأبحاث والدراسات، ط2، 2016م.

■ شـلاطة، أحمد زغلول، حالة التدين فى مصر، إلحاد الإسـلاميين نموذجًا سلسـلة مراصد (٢٧)، مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، ٢٠١٤.

■ مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسـفي، الهيئة العامة لشـؤون المطابـع الأميرية، القاهرة، 1983م.

■ قبايلي، أحمد وعدار، يوسف، الإلحاد المعاصر تاريخية الظاهرة وتبلور المصطلح، مجلة الباحث في العلوم الإنسـانيّة والاجتماعيّة، المجلد 13، الجزائر: جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 02/ 2021.

■ الخطيب، عبد الحميد، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، مطبعة النيل، القاهرة، لا ط، 2002،

■ خليل، أحمد خليل، المفاهيم الأساسيَّة لعلم الاجتماع، دار الحداثة، مصر، لا ط، 1984.

■ القصير، عبد القادر، الأسرة المتغيِّرة في مجتمع المدينة العربية «دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسريّ، دار النهضة العربية، بيروت، لا ط، 1999.

■ حمودي، غدير، فقه نظام الأسرة في القرآن الكريم، دار الولاء، بيروت، ط1، 2011.

■ أبو سليمان، عبد الحميد، أزمة الإرادة والوجدان المسلم: البعد الغائب في مشروع إصلاح الأمة في إصلاح الثقافة والتربية رؤية إسلامية معاصرة، دار الفكر، دمشق، ط 2004م.

■ عزت، هبة رؤوف، المرأة والعمل السياسي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية ١٨، ط1 ،1995.

■ قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط٩، 1980م.

■ الأعرجي، زهير، النظام العائليّ ودور الأسرة في البناء الاجتماعيّ الإسلامي، لاط، لات، مكتبة مدرسة الفقاهة الإلكترونية، https://lib.eshia.ir/27721/1/0

■ الخضري، أنور بن قاسم، آثار ونتائج الانحرافات الفكريَّة (الإلحاد نموذجاً)، مؤتمر الانحرافات الفكريَّة بين حريَّة التعبير ومحكمات الشريعة، رابطة العالم الاسلامي (المجمع الفقهي الاسلامي، مكة المكرمة، ط1، لا تاريخ.

■ جمعة، محمد مختار، مخاطر الإلحاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2020م.

■ الأمم المتَّحدة، مجلس حقوق الإنسان (الجمعية العامة)، تقرير الفريق العامل المعني بمسألة التمييزضد المرأة في القانون والممارسة، الدورة 29، 2 نيسان 2015، وثيقة رقم 40/A/HRC/29 ، موقع مكتبة حقوق الإنسان، جامعة مينيسوتا، http://hrlibrary.umn.edu/arabic

■ بو زيد، وردة، دور منظمة الأمم المتَّحدة في تجسيد الأسرة اللانمطيَّة، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، جامعة لغرور عباس خنشلة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، المجلد:9، العدد:1، 2022.

■ سيدي محمود، هلال، الصراعات الحضارية -الأيديولوجيات الأسريَّة، مقال منشور على موقع الجزيرة الإلكتروني (دراسات وبحوث)، https://www.aljazeera.net/opinions ، بتاريخ 2006/2/29، تاريخ الاطلاع 2021/2/3.

■ سيغوك، آن سكيريك، الصراعات الحضارية -الأيديولوجيات الأسريَّة، ترجمة سيدي

محمود هلال، مقال منشور على موقع الجزيرة الإلكتروني (دراسات وبحوث)، https://www.aljazeera.net/opinions، بتاريخ: 2006/2/9، تاريخ الاطلاع: 2021/2/1.

■ تقرير الفريق العامل المعني بمسألة التمييز ضد المرأة، الفقرة 49، ص:16، عن موقع المعهد الدانماركي لحقوق الانسان: https://sdgdata.humanrights.dk/ar ، تاريخ الاطلاع: 2021/2/7.

■ عبد الرؤوف، مشري، الجندر: إشكالية تماثل الأدوار في المجتمع الجزائري، مجلة جيل العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد 51، الرابط: https://bit.ly/2KSdXlh

■ عبد الخالق، عبد الرحمن، الإلحاد أسباب هذه الظاهرة، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإفتاء، الرياض، السعودية، ط2، 1404ه.

■ دجاكام، علي، الفلسفة الغربية برؤية مرتضى مطهري، ترجمة أسعد مندي الكعبي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية- العتبة العباسية، ط1، 2016م.

■ شريف، عمرو، الإلحاد مشكلة نفسية، القاهرة، ط1، 2016.

■ أماني، ابو الفضل،(مداخلة): حلقة نقاشية: «خبرة الباحث الاجتماعيّ في الاقتراب من النص القرآني»، مجلة المرأة والحضارة، عدد(3)، اكتوبر 2002م.

مراجع أجنبية:

■ Sendi,S.A، “Alelhad”،Dubia:Dar Al-ber،2015.

■ Gender, equity and human rights, World Health Organization WHO,Glossary of terms and tools, http://www.who.int/gender-equity-rights/knowledge/glossary/en/ , retrieved 24th June 2016